جامعة بنها
كلية الآداب
قسم التاريخ والآثار

محمود سامي البارودي ودوره في السياسة المصرية
١٨٣٩ - ١٩٠٤

رسالة مقدمة من الباحثة

مروة علي حسين أحمد
المدرس المساعد بقسم التاريخ والآثار
لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف

أ.د/ لطيفة محمد سالم
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
بالكلية

أ.د/ حمادة محمود إسماعيل
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
وعميد الكلية سابقا

أ.م.د/ مصطفى الغريب محمد
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد بالكلية

٢٠١٩م

ترجع جذور النهضة العلمية في مصر إلى عصر محمد علي (١٨٠٥ – ١٨٤٨)، فقد أسهمت بعثاته إلى أوروبا في تشبع المصريين بالثقافة الغربية، ونتج عنها تيار حمل لواء الانفتاح على العالم الآخر بما يوافق تعاليم الدين الإسلامي، وتبنى رفاعة الطهطاوي هذه الدعوة، فقد آمن بالأفكار التحررية الفرنسية، فدعى إلى حرية الفكر والرأي، ونادى بالدستور، فضلاً عن اهتمامه بالصحافة وعرض قضايا مجتمعه، كما روج لتعليم المرأة؛ إيمانًا منه بدورها المهم فيه.

وفي عصر إسماعيل (١٨٦٣ – ١٨٧٩) واكبت هذه النهضة مسيرتها على يد علي مبارك الذي وظف جهوده نحو إثراء التعليم المصري، ويرجع الفضل إليه في إنشاء دار الكتب على نسق المكتبة الأهلية بباريس، كما شيدت المدارس في عهده، وكان الطابع الأوروبي هو السائد في تعليم الطلاب بها، وظهر من بين المتعلمون عدد من المثقفين كانت لهم جهود مضنية في إثراء الحياة الفكرية في هذه الآونة أمثال: محمد عبده، يعقوب صنوع، وسليم النقاش، وأديب إسحق.

ولهذا فإن دراسة الشخصيات أمر صعب وله من الأهمية بكثير، فقد وجد أنه هناك ارتباط قوي بين الفترة الزمنية التي تعيشها الشخصية وما تمر به من أحداث وظروف تؤثر بشكل كبير على مرحلة التكوين والإعداد وكذلك الأسلوب والمنهج خصوصًا إذا كانت شخصية قيادية مثل محمود سامي البارودي موضوع الدراسة.

ولما كانت هناك دراسات عدة عن الثورة العرابية من حيث أحداثها والمشاركين فيها ولاسيما أن المجتمع المصري قد أدى دوره المهم

فيها، وأيضًا هناك كتب عن بعض الشخصيات التي أسهمت بدور فعال فيها مثل شخصية قائدها أحمد عرابي الذي تناوله د. سمير محمد طه في أطروحته للدكتوراه بعنوان "أحمد عرابي ودوره في الحياة السياسية المصرية"، كذلك شخصية عبد الله النديم الذي بحث فيها د. عبد المنعم الجميعي وهي أطروحته للدكتوراه بعنوان "عبد الله النديم ودوره في الحركة السياسية والاجتماعية".

ومن أهمها ما كتبه د. لطيفة محمد سالم عن القوى الاجتماعية في الثورة العرابية وهي أطروحة الدكتوراه الخاصة بها، وما أنتجه كل من صلاح عيسى عن الثورة العرابية في كتابه "الثورة العرابية"، وكتاب رفعت السعيد عنها والذي حمل عنوان "الأساس الاجتماعي للثورة العرابية".

ومن ثم، فإن الشخصية التي كانت من أهم أعمدة الثورة هي شخصية محمود سامي البارودي الذي كتب عنه الكثير من منطلق أنه رب القلم وكانت له السمات الخاصة بأشعاره والتي تمثلت في تجديده، فقد ابتعد البارودي عن استخدام أساليب معاصريه القديمة في كتابته من التقيد بالسجع والأساليب البديعية الثقيلة التي هوت به إلى الضعف، فقد أشاع فيه الحياة من جديد عن طريق بث مشاعره وتجاربه وأحداث المجتمع المصري فيه، وقد صار على أسلوبه الشعراء المعاصرين له، ولهذا يعد البارودي رائد الشعر الحديث.

أما عن دوره في السياسية المصرية سواء قبل الثورة العرابية أو في أثنائها أو بعد الهزيمة، فإنه لم يتم التعرض له بدراسة علمية

منهجية، ومن ثم فقد احتاج الأمر بل واحتاجت المكتبة العربية ليكون هناك عمل يختص بالبارودي بعيدًا عن الشعر. ومن هذا المنطلق أقدمت على اختيار تلك الشخصية حتى تتكامل الصفحات الخاصة بها، وفق منهج تاريخي يرصد حياة البارودي والعوامل المؤثرة فيه وتأثير ظروف عصره عليه، وذلك لإلقاء الضوء على دوره الذي قام به في ظل الكم من المادة التاريخية والدراسات والمؤلفات التي ضمت بين ثناياها آراء عديدة بشأنه دون تحيز.

واعتمدت الدراسة على مصادر متنوعة تأتي في مقدمتها الوثائق العربية الغير منشورة والمحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة؛ ومنها محافظ الثورة العرابية، ومجلس النظَّار والوزراء، وديوان الروزنامة، وديوان الداخلية، وديوان الجهادية، وديوان الحربية، وضبطية مصر، ومحافظ الأبحاث.

ومن المصادر الأخرى التي اعتمدت عليها الدراسة الوثائق المنشورة المتمثلة في وثائق الثورة العرابية خلال فترة الدراسة، كما استقت الدراسة مادتها من مصادر أخرى مثل ما كتبه البارودي والذي ينسب إلى ديوانه، ومحمود فهمي المهندس في كتابه البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر، هذا بالإضافة إلى الاستعانة بعدد من المذكرات لبعض المعاصرين لهذه الفترة امثال نوبار باشا، وأحمد شفيق، ومحمد عبده، وكانوا شهود عيان على بعض أحداثها.

كما استعانت الدراسة بعدد قليل من الدوريات؛ نظرًا لتعرضها للتلف وصعوبة الاطلاع على الكثير منها، ولعل هذا مثل عائقًا كبيرًا

واجهته في هذه الدراسة، علاوة على ذلك فقد استقت الدراسة مادتها أيضًا من بعض الأبحاث والرسائل الجامعية التي تمتُّ لموضوع البحث بصلةٍ، واستخدمت كذلك الكثير من المراجع العربية، فضلاً عن بعض المراجع الأجنبية كما هو موضح بثبت المصادر والمراجع والتي ألقت أضواء كثيرة على جوانب هذه الدراسة.

وقد قسمتُ الدراسة إلى تمهيد وخمسة فصول، بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة، ويستعرض التمهيد نشأة وتكوين البارودي، وتعليمه وثقافته، والحياة الأسرية.

أما الفصل الأول من الدراسة فقد تناول المشاركة الوطنية للبارودي في ظل أحوال مصر المتردية في عصر إسماعيل، وظهور جمال الدين الأفغاني وتأثره بفكره الثوري وتأثيره فيه والذي وضح من خلال اشتراكه في الحزب الوطني ونيابة إحدى الجمعيات الوطنية المناوئة للاستعمار الأجنبي ودوره في معاضدة شئون الضباط في مقتبل عمره الوظيفي.

أما الفصل الثاني فقد اشتمل على بيان حياته في الفترة التي قضاها بعيدًا عن مصر (١٨٥٧ – ١٨٦٣)، وارتياده الميدان الحربي إبان استقراره بها في عصر إسماعيل، وكذلك المناصب التي تولاها البارودي والتي تمثلت في رئاسة نظارة المعارف العمومية والأوقاف ثلاث مرات متتالية، وبيان إصلاحاته الإدارية بها.

ثم عرضت في الفصل الثالث دور البارودي خلال الفترة من ٦ فبراير ١٨٨١ – ٤ فبراير ١٨٨٢ إبان تولية رئاسة نظارة الجهادية

والبحرية مرتين على التوالي، وجهوده التي بذلها في إحداث طفرة إدارية بهما.

أما الفصل الرابع فقد عالجت فيه نشاط البارودي في رئاسته للنظارة للمرة الأولى والإصلاحات الإدارية التي قام بها، وكذلك جهوده في تطبيق اللائحة الدستورية من خلال مزاولة مجلس النواب لأعماله، وموقفه من الاحتلال الأجنبي وجهوده المبذولة في مقاومته، وارتياده ساحة الحرب للدفاع عن وطنه.

أما الفصل الخامس فقد تضمن إجراءات محاكمة البارودي، والتحقيق وإجاباته تفصيلاً، وكذلك الدفاع، ومصادرة أملاكه وعرضها للبيع، ونفيه إلى سيلان وحياته بها خلال فترة منفاه ثم عودته إلى مصر ووفاته بها.

أما الخاتمة فتتناول أهم النتائج التي توصلت إليها الدارسة، كما حرصت الباحثة على أن تلحق بالدراسة بعض الملاحق بوصفها صورًا لوثائق غير منشورة، وأخيرًا تأتي قائمة المصادر والمراجع.

وفي النهاية؛ لا يسعني في هذا المقام سوى إسداء الفضل لأهله والجميل لأصحابه؛ لذا أتقدم بخالص الشكر والتقدير وعظيم الامتنان والعرفان بالجميل إلى الأم الفاضلة الأستاذة الدكتورة/ لطيفة محمد سالم؛ فهي صاحبة فكرة هذا البحث، وأعطت له الكثير والكثير من الجهد والوقت، وقد حبتني شرف الدخول والاستمرار في مدرستها العلمية العريقة، فكانت خير من تعلمت على يدها العلم والأخلاق والصبر، وأشكرها على تفضلها بالإشراف على هذا البحث الذي ظل في

عنايتها ورعايتها؛ فعلى يدها تتلمذت وعلمتني كيف يكون البحث وكتابة التاريخ والسير على مناهجه، فكان لتوجيهاتها وآرائها فضل عظيم في إخراج الدراسة على هذا الشكل، فجزاها الله عن هذا العمل خير الجزاء، وأسأل الله المتعال أن ينعم عليها بوافر الصحة والعافية.

كما أتوجه بالدعاء إلى أستاذي الدكتور/ حمادة محمود إسماعيل الذي حباني شرف التعلم على يديه، فنهلت من خلقه وعلمه ونصائحه وتوجيهاته، فكان نعم الأب الحريص على أبنائه، ونعم الأستاذ الحريص على تلاميذه، بأن يتغمده الله بواسع رحمته ويجعل مثواه الجنة ويلحقه بالصديقيين والنبيين والشهداء.

وأسجل أيضًا خالص شكري لأستاذي الدكتور/ مصطفى الغريب لما بذله من جهد في إشرافه على هذا البحث، فله مني كل التقدير والعرفان.

كما أتوجه بخالص الشكر لأساتذتي وزملائي بقسم التاريخ والآثار، وكذلك أتقدم بالشكر للسادة العاملين بدار الكتب والوثائق القومية على معاونتهم الطيبة لي طوال مرحلة البحث، وجمع المادة الوثائقية.

وفي النهاية أتمنى من الله – عزَّ وجلَّ – أن أكون قد وُفقت في هذه الدراسة.

التمهيد

نشأة وتكوين البارودي

أولاً: النشأة

ثانيًا: التعليم والثقافة

ثالثًا: الحياة الأسرية

أولاً: النشأة

ولد محمود سامي البارودي في يوم الأثنين ٦ أكتوبر عام ١٨٣٩ بسراي البارودي قرب باب الخلق بالقاهرة[١]، من أسرة چركسية ذات مكانة مرموقة في المجتمع المصري؛ فالجد – عبدالله الچركسي الألفي- كان كشافًا في عصر محمد على[٢]، أما جدته فهي فاطمة قادن ابنة الأمير أحمد أغا البارودي[٣]. وقد كان حسن حسني الچركسي- والد محمود سامي- قائدًا للمدفعية في عصر محمد علي، ثم أصبح لواءً بالجيش[٤]، وأخيرًا مديرًا لبربر ودنقلة بالسودان عام ١٨٤٦، وتوفىَ بها في العام ذاته، وكان عمره وقتذاك ستة وثلاثين عامًا، أما والدته فهي فاطمة هانم ابنة على أغا البارودي التي تُوفيت عام ١٨٨٢ وعمرها

---

(١) على الحديدي، محمود سامي البارودي شاعر النهضة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠، ص٢٧.

(٢) أطلق هذا اللفظ على الشخص القائم بالأعمال الإدارية للأقاليم التابعة للحاكم. زين العابدين شمس الدين نجم، إدارة الأقاليم في مصر ١٨٠٥ – ١٨٨٢، ط١، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٨٨، ص١٥؛ نفوسة زكريا سعيد، البارودي حياته وشعره، تقديم محمد مصطفى هدارة، د.ن، القاهرة، ١٩٩٢، ص١٧.

(٣) حمل لقب البارودي ولاءً لأسرة زوجته زليخا خاتون كريمة الأمير إبراهيم كتخدا. على الحديدي، مرجع سابق، ص ص ٣٣، ٣٤.

(٤) منحت هذه الرتبة للعسكريين في عصر محمد علي منذ عام ١٨٤٣، وهي تعادل الرتبة المدنية مير الأمراء. سلوى محمد عبد الدايم محمد، الرتب والألقاب في مصر في القرن التاسع عشر ١٨٠٥ - ١٨٩٢، رسالة ماچستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠١٧، ص٩.

تسعون عامًا، ولم تكن له سوى أخت واحدة سميت فاطمة تيمنًا باسم والدتها[1].

أما عن نسب محمود سامي وعن لقبه باسم البارودي الذي عُرفت به عائلته ومن ثم آل إليه بالتبعية، فقد تعددت روايات المؤرخين حوله، ومن أهمها أنه يرجع إلى الأمير نوروز الأتابكي الملكي الأشرفي أخي برسباي قرا المحمدي عن طريق زوجته أصيل خاتون التي تعود جذور نسبها إلى السلطان نور الدولة شاهنشاه أخي السلطان صلاح الدين الأيوبي، هذا وقد أوردت الرواية نفسها صلة نسب أخرى لمحمود سامي بالأمير نوروز الأتابكي، وأرجعتها إلى جدته خديجة خاتون البارودية التي تزوجت الأمير قاسم إيواظ الچركسي ابن الأمير خشقدم تابع ومملوك الأمير رضوان أبي الشوارب، الذي نسب نفسه ولاءً إلى أسرة سيده مراد چلبي الشهير بـ "مراد چلبي البارودي"[2].

ويُتبين من خلال ذلك تضارب كبير فيما ذهبت إليه هذه الرواية؛ نظرًا لأن الاتجاه الأول في النسب لا يُعرَّج على الأمير مراد چلبي مؤسس الأسرة وحامل لقبها الأول.

---

(١) فقد محمود سامي كلاً من جده لأبيه وجده لأمه في مذبحة القلعة عام ١٨١١م، وكان محمد علي قد دبرها للقضاء على المماليك، والانفراد بحكم مصر. علي الحديدي، مرجع سابق، ص ص ٣٦، ٣٧، ٤٩.

(٢) علي الحديدي، مرجع سابق، ص ص٣٤، ٣٥؛ عمل ملتزمًا لبلدة إيتاي البارود التابعة لمديرية البحيرة، فنسب إليها، ومن هنا حمل لقب البارودي. شوقي ضيف، البارودي رائد الشعر الحديث، ط٦، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٤٦؛ هذا وقد رجعت الباحثة إلى السجل الخاص بهذه البلدة المذكورة فلم تعثر علي شيء يخص أيًا من أفراد عائلة محمود سامي. دار الوثائق القومية، أسماء العائلات الكبيرة، محفظة١، ملف ٣، كود ٠٠٠٠٠٣-٠٠٧٤، بيان بأسماء وثروات كبار العائلات والأفراد بجميع مراكز مديرية البحيرة، د.ت.

وهناك رواية أخرى تذكر إن أحد أجداده لأمه فاطمة البارودية كان مملوكاً لعلى بك، وقد اشتُهر في هذه الآونة بصناعة البارود اللازم، لعمل المدافع[١].

غير أن الباحثة لم تستطع التوصل إلى شيء يمكنها من حسم حقيقة نسبه وكذلك لقبه؛ لعدم وجود أدلة موثوق بها، مما أدى إلى العزوف عن عمل شجرة لنسبه، ويمكن أن نعزو ذلك إلى سببيْن جوهريْن هما:

الأول: انتماء محمود سامي إلى فئة المولدين الچراكسية، وهي فئة تميزت بسمات خاصة، منها العزلة والتبعية الشديدة للآخرين، وكذلك حمل ألقابهم[٢]، فمثلاً الأمير نوروز الأتابكي انتسب إلى الملك الأشرف ومنه أخذ اسمه الملكي الأشرفي، وكذلك نوروز المنصوري الذي يُنسب إلى الملك المنصور وهكذا[٣].

الثاني: التطلع الشديد من جانب محمود سامي إلى تتبع أصول نسبه؛ للافتخار به وتأكيده للمجتمع المصري بوثيقة يرجع إليها الآخرون حين التطرق إلى البحث عن تاريخه، وقد بذل في سبيل ذلك وقتًا وجهدًا عظيميْن، كما أنفق أموالاً كثيرة، لكنه لم يصل إلى

---

(١) موير، وليم، تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة محمود عابدين وسليم خليل، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥، ص٢١٢؛ المقصود به هنا علي أغا البارودي الذي كان مملوكًا لمحمد أغا زوج فاطمة قادن البارودية. علي الحديدي، مرجع سابق، ص٣٣.

(٢) موير، مرجع سابق، ص٢٠٣.

(٣) الهلال في أول فبراير ١٩٠٥، ص٢٥٨.

شيء، وظل متحيرًا[1]؛ تارة يرجع نسبه في صحيفة أعدها بنفسه وساعده فيها صديقه الشيخ محمد عبده عام ١٨٨٠، إلى الأمير نوروز الأتابكي، وتارة أخرى يعزو في ديوان شعره نسبه إلى جده لأمه على أغا البارودي على نحو ما جاء:

وَسَـــمَا جَـــدّي "عَلِـــيٌّ" يَطْلُـــبُ الـــنَّجْمَ فَنَالَـــهْ
فَهْـــوَ لـــي إِرثٌ كَـــرِيمٌ سَـــوْفَ يِبْقَـــى فِـــي السُّـــلاَلَهْ[2]

ويتضح مما سبق ذكره أن ثبوت صحة أو خطأ الأقاويل الواردة في تحقيق نسبه، لن تنقص من شأن هذا الرجل ودوره كما سيتضح تفصيلاً خلال صفحات الدراسة.

---

(١) أنفق نحو ثلاثة آلاف جنيه. المصدر نفسه، ص٢٥٨.

(٢) محمود سامي البارودي باشا، ديوان البارودي، تحقيق وشرح على الجارم، ومحمد شفيق معروف، جـ١، ط٤، دار العودة، بيروت، ١٩٩٨، ص٤٨٥.

الخاتمة

الخاتمة

بعد عرض موضوع الدراسة، يمكن تسجيل عدد من النقاط التي تستخلص منها أهمها:

- أثرت نشأة البارودي في تكوين شخصيته، وقد دفعته إلى عمل كيان خاص به اختلف تمامًا عن جنسه الچركسي، وقد وضح هذا إبان مخالفة قواعده في الاقتران بزيجة من الأسرة الحاكمة المصرية.
- ساهمت ثقافة البارودي وانخراطه بالمجتمع المصري ومعايشته لظروفه الصعبة التي مر بها في ظل حاكميها إسماعيل وتوفيق واللذين أسهما بشكل مباشر في تدهور أوضاعه وإخضاع الوطن لسيطرة وتدخل دولتي الاستعمار بريطانيا وفرنسا في مساندة مجتمعه واستحواذ فكرة بذل الجهود والمساعي في رفع كل هذه الأعباء عن كاهله من أجل إعلاء شأن المصريين ودفع الظلم عنهم، وقد أثرى أشعاره بهذه الأحداث وسجل لفكره الثوري بها، وكان نابعًا من شعوره بأنه أحد أفراده.
- تشبث البارودي بالقوى المثقفة المصرية التي ظهرت على الساحة المصرية، وكان مساندًا لأفكارها الإصلاحية، وظهر مساندته الفعلية لهم من خلال دوره داخل الحزب الوطني وقيادة إحدى الجمعيات السياسية "جمعية المقاصد الخيرية".
- اجتمع في شخص البارودي أمران، تمثل الأمر الأول في الطموح الزائد في الوصول إلى المناصب القيادية، أما الأمر الثاني فقد

كمن في ارتباطه دائمًا بأناس مؤثرين في المجتمع، وكانت مشاركته الوطنية سببًا في الجمع بينه وبين عرابي قائد الثورة العرابية.

- استغل البارودي ذكائه الاجتماعي في التقرب من إسماعيل وتوفيق وشغل المناصب المهمة أثناء فترة حكمهما، وفي الوقت ذاته كان يواكب العمل الوطني ويخطط ويعد العدة في كيفية مواجهتهم والتخلص منهم.
- تبوء الإصلاح الإداري مكانة كبيرة في فكر البارودي نحو تغيير شئون المجتمع، وقد وضح آثارها إبان رئاسته لنظارة المعارف العمومية والأوقاف لثلاث فترات متتالية، فقد استطاع أن يحدث تغييرات جذرية في كافة شئونها وخصوصًا فيما يتعلق بالقوانين المنظمة للوقف بدافع إبعاده عن تحكم الأجانب وكذلك الحكام، وتنظيم العمل داخل النظارة ذاتها، وإثراء الثقافة المصرية من خلال الاهتمام بإدارة دور العلم، وأخيرًا جهوده في المحافظة على الآثار المصرية.
- ساند البارودي العسكريين قلبًا وقالبًا في حصولهم على كافة امتيازاتهم العسكرية وإجبار المسئولين على الاعتراف بها والموافقة عليها؛ إيمانًا منه بضرورة إصلاح أحوال هذه المؤسسة العريقة صاحبة الدور المهم في الدفاع عن الوطن، ووضع على عاتقه مهمة تنقيح القوانين القديمة وإدخال تعديلات عليها،

بالإضافة إلى تبنيه فكرة العدالة الاجتماعية في توزيع الرواتب، وقضى على فكرة التمييز العنصري بين أفرداه.

- ساهم البارودي في تحقيق مسعي المجتمع المصري بقواه المختلفة نحو الإصلاح الدستوري أثناء رئاسته للنظارة، ورغم محاولة تصدي الخديو توفيق وبريطانيا وفرنسا لإخفاق مساعيه الوطنية، فقد تمادى في مؤازرة قوى المجتمع وخصوصًا العسكريين في إصلاح الإدارة المصرية، وبذل المساعي في إخفاق مخططهم لاحتلال مصر.
- تناسى البارودي چركسيته ومركزه الاجتماعي إبان حدوث الغزو البريطاني للبلاد، وانضم إلى الصفوف العسكرية محاربًا عن وطنه، وكان ملازمًا لقائدها أحمد عرابي أثناء فترة الحرب، ولما أخفقت الثورة العرابية رفض التخلي عن كرامته ونبذ فكرة التسليم للمستعمر البريطاني.
- نال البارودي أشد أنواع العقاب المعنوي والمادي جزاء حبه لمصلحة مصر والمصريين، وقضى القسط الأكبر من حياته في المنفى يعاني شحة العيش والمرض.